الأسس القرآنية لنهضة عاشوراء

الاستاذ المساعد الدكتور
محمدجواد اسكندرلو
جامعة المصطفى العالمية
كلية علوم القرآن

الاستاذ المساعد الدكتور
حسن رضائی هفتادر
جامعة طهران
كلية علوم القرآن

الملخص

لا يمكننا أن نحصل على معرفة دقيقة و عميقة لنهضة عاشوراء و الأهداف السامية لثورة الإمام الحسين عليه السلام من دون دراسة الأسس القرآنية لها.

تتناول المقالة – طبقاً لكلمات الإمام الحسين عليه السلام و تفسيرها – اثنا عشر من الأسس القرآنية لنهضة عاشوراء، و هي ما يأتي: إعلاء كلمة الله، نصرة الدين، الجهاد لحفظ الاسلام، الإصلاح، الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، حماية السنة النبوية، الهجرة، التحرر و التحرير، اختيار إحدى الحسنَين، مواجهة الظلم، عدم الخضوع للذل، إتمام الحجة على الناس.

المصطلحات الأساسية: نهضة عاشوراء، الأسس القرآنية، كربلاء، الإمام الحسين عليه السلام.

Quran Foundations of the Renaissance of Ashura

Assist. Prof.
Mohammed Jawad Iskandarlo
Al-Mustafa International University

Assist. Prof.
Hassan Ridhaiy Haftader
University of Tahran

Abstract

We cannot get a thorough knowledge and deep account of the renaissance of Ashura and the supreme goals of the revolution of Imam Al-Hussein (peace be upon him) without studying its Quran foundations.

This research addresses, according to the speeches and expanations of Imam Al-Hussein (peace be upon him) twelve Quran foundations of the renaissance of Ashura. They are as follows: to uphold the word of Allah, to support Islam, to save Islam by jihad, to reform, to call for the promotion of virtue and to prevent corruption, to protect the prophetic sunnah, to immigrate for the sake of Islam, to work for emancipation and liberation, to choose the right things, to face injustice, not to be subjected to humiliation and to perform convincing argument with people.

Key words: the renaissance of Ashura, Quran foundations, Karbala, Imam Al-Hussein, peace be upon him.

المقدمة

لقد كانت لنهضة عاشوراء أسسٌ قرآنية ينبغي لنا معرفتها لتتضح لنا أهداف هذه النهضة. لقد تناول البحث اثنى عشر أساساً من الأسس القرآنية لنهضة عاشوراء يمكن من خلال البحث فيها معرفة أهداف النهضة الحسينية بشكل أعمق وأدق.

و سنذكر فيما يأتي بعض هذه الأسس:

الأسس القرآنية لنهضة عاشوراء

من خلال دراسة كلمات و أفعال الإمام الحسين عليه السلام منذ خروجه من المدينة إلى حين وصوله إلى كربلاء و تحليل ارشاداته و تعليماته يتضح لنا انّ نهضة الامام الحسين عليه السلام في عاشوراء إنما كانت تقوم على أساس الأوامر و التعاليم القرآنية، و إنّ معرفة هذه الاسس تؤدي إلى أن تصير هذه النهضة أنموذجاً و اسوة لجميع أتباع القرآن، و ذلك لأنها تحدد التكليف القرآني لجميع المسلمين على طول التاريخ. فمتى ما حصلت ظروف مثل تلك الظروف التي مرّ بها الإمام الحسين عليه السلام فعلى المسلمين أن يسيروا - طبقاً لهذه الأسس القرآنية - على نهج الإمام الحسين عليه السلام.

وبعبارة أخرى: فمن خلال إستنباط الأسس القرآنية لنهضة عاشوراء فإنّ حركة الإمام الحسين عليه السلام ستتبدل إلى حركة قرآنية و تصير قدوة لجميع المسلمين.

مفهوم (الأسس القرآنية)

إنّ المقصود من الأسس القرآنية هو ما تواضع المسلمون على قبوله من تعاليم القرآن، و الذي يشكل الحجر الأساس لنهضة الإمام الحسين عليه السلام. وبتعبير آخر: فهو عبارة عن المستندات القرآنية لنهضة عاشوراء.

وهذه الأسس تشمل الأوامر الإلهية الاجتماعية والسياسية المباشرة في القرآن لجميع المسلمين، وكذلك التعاليم القرآنية غير المباشرة و التي يمكن استنباطها من كلمات الامام الحسين عليه السلام وسيرته بالإستفادة من قاعدة الجري والتطبيق وبطون القرآن الكريم.

وعليه فإن إستنباط الأسس القرآنية لنهضة عاشوراء يكون بالإستفادة من القواعد والمناهج التفسيرية للقرآن مثل قاعدة الجري وحجية ظواهر القرآن و منهج التفسير الروائي والتفسير الإشاري (الباطني).

وأما مصادر إستنباط الأسس القرآنية لنهضة عاشوراء فهي مايأتي:

أ. كلمات الإمام الحسين عليه السلام.

ب. رسائل الإمام الحسين عليه السلام.

ج. سيرة الإمام الحسين عليه السلام.

و هذه المصادر هي من داخل النهضة، ومستندة إلى قائد النهضة.

أهمّ أسس النهضة:

الاول: إعلاء كلمة الله

ذكر المؤرخون أنّ الإمام الحسين عليه السلام التقى الفرزدق في الطريق إلى كربلاء في منطقة «الصفاح» و بيّن له أنّ هدفه النهائي هو إعلاء كلمة الله تعالى، حيث قال الإمام عليه السلام: «و أنا أولى من قام بنصرة دين الله، و إعزاز شرعه، والجهاد في سبيله، لتكون كلمة الله هي العليا»[1].

وهذا الأمر الذي ذكره الإمام الحسين عليه السلام والذي عُدَّ اعظم أساس لنهضة عاشوراء يبتني على قوله تعالى: ﴿وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾[2].

والمقصود من الكلمة في الآية يمكن أن يكون: البرنامج، المدرسة، الهدف، القول، السُّنّة، الإرادة الإلهية[3]، و هو أسمى و أعظم وأفضل من مدرسة الكفر ومنهجه.

الثاني: نصرة الدين و عزة الشريعة الإلهية

ذكرنا – آنفاً – ان الإمام الحسين عليه السلام عندما التقى الفرزدق في «الصفاح» قال له: «و أنا أولى من قام بنصرة دين الله، و إعزاز شرعه، و الجهاد في سبيله لتكون كلمة الله هي العليا»[4].

وهذه الكلمة التي قالها الإمام الحسين عليه السلام تبيّن واحداً من الأسس الأصيلة لنهضة عاشوراء –والتي تستند إلى آيات عديدة من القرآن، بل على الروح العامة للقرآن – ألا و هي نُصره الاسلام، ﴿حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾[5]، وحتى ان القرآن الكريم طلب من الناس القتال والحرب لدفع الفتنة وحاكمية الدين: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ﴾[6].

نعم، لقد نصر الإمام الحسين عليه السلام دين الله، وكذلك فإنّ الله تعالى نصر نهضته فانتصر دم الحسين عليه السلام على سيوف الظالمين وتحقق هدف الإمام عليه السلام وهو عزّة الاسلام، حيث ما زالت نهضة عاشوراء حيّة بعد (١٤) قرناً و ما زالت أنموذجاً يُحتذى عند الناس، و أما اعداؤه فقد سقطوا واضمحلّوا.

الثالث: الجهاد لحفظ الإسلام

روي عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال عندما التقى الفرزدق: «يا فرزدق إنّ هؤلاء القوم لزموا طاعة الشيطان، و تركوا طاعة الرحمان، و أظهروا الفساد في الأرض، وأبطلوا الحدود، وشربوا الخمور، واستأثروا في أموال الفقراء و المساكين»[7] «و أنا أولى من قام بنصرة دين الله، و إعزاز شرعه، و الجهاد في سبيله، لتكون كلمة الله هي العليا»[8].

كما روي أن الإمام الحسين عليه السلام قال: عندما دعاه مروان في المدينة إلى بيعة يزيد: «وعلى الإسلام السلام إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد»[9].

ويشير هذا الكلام للإمام عليه السلام إلى الفساد الإجتماعي والسياسي والإقتصادي الواسع في المجتمع. وفي تلك الظروف كان الإسلام فيها يواجه

الأخطار، وبالتالي صار الجهاد فيها واجباً. وذلك لأن حفظ الإسلام هو أهمّ الواجبات الإلهية. ويشير هذا الكلام للإمام الحسين عليه السلام إلى واحدٍ من الأسس المهمة لنهضة عاشوراء وهو «الجهاد في سبيل الله»، وهو مما طرحته الآيات في مواضع عديدة وَعَدَّت الجنة هي ثواب المجاهدين.

إن الأهداف الأساسية للجهاد الإسلامي هي:

١. الدفاع ضد هجوم الأعداء لحفظ الدين، وأرواح وأموال وأعراض المسلمين.
٢. خلاص المستضعفين من قيود الكفر والشرك والظلم، ونشر الإسلام.

و الإمام الحسين عليه السلام جاهد من أجل الهدف الأول و استشهد في هذا الطريق. فهو عليه السلام قد عمل بحسب الآيات الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ الله وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾[١٠]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[١١].

الرابع: الإصلاح

روي انّ الإمام الحسين عليه السلام كتب وصية وأودعها عند أخيه محمد بن الحنفية في المدينة. وقد بيّن الإمام عليه السلام أهداف ثورته كما يأتي:

«إني لم أخرج أشراً ولابطراً و لامفسداً و لاظالماً، و إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي، أُريد أن آمر بالمعروف و أنهى عن المنكر، و أسير بسيرة جدي و أبي علي بن أبي طالب»[١٢].

من أهداف ثورة الإمام الحسين عليه السلام الإصلاح في الأمة على جميع الأصعدة: الفردية والإجتماعية والسياسية والاقتصادية.

لقد كان الاصلاح من أهداف الانبياء التي ذكرها القرآن. فقد ورد في القرآن على لسان شعيب عليه السلام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا إِسْتَطَعْتُ﴾[١٣]. ويريد شعيب عليه السلام في هذا الكلام أن يبيّن الدافع المعنوي والإنساني والتربوي والإصلاحي، وانّ الله تعالى بيّن له بعض الحقائق التي لا يعلمها الآخرون. والاصلاح في أصل اللغة بمعنى السلامة من الفساد. و هي تشمل الإصلاح في الجسم والعقيدة والعمل[١٤]. و عليه يمكن القول ان الإصلاح في هذه الآيه يشمل جميع الإصلاحات السياسية والاقتصادية والعسكرية والفكرية والأخلاقية والثقافية، وكذلك الأعمال الفردية.

إذ إن من اهداف الأنبياء والقادة الدينيين هو الإصلاح. والإصلاح الشامل في العقيدة و الأخلاق والسلوك الإنساني والعلاقات الإجتماعية والسياسية والأقتصادية من أهدافهم.

الخامس: الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر

لقد وضّح الإمام الحسين عليه السلام في وصيته المشهورة التي أودعها عند أخيه محمد بن الحنفية في المدينة أنّ أحد أهداف نهضته الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، إذ قال: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، اريد أن آمر بالمعروف و أنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب»[١٥].

فالأمر بالمعروف هو الذي يحفظ وجود الأعمال الصالحة في المجتمع، والنهي عن المنكر وسيلة للتطهير المستمر من الاعمال القبيحة في المجتمع. وحيث إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروع الدين فقد أكّد القرآن عليهما مراراً وعدّهما من الواجبات: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[61].

نعم، لقد كان الإمام الحسين عليه السلام في نهضته بصدد تنفيذ الأمر القرآني في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وهناك مراحل ذكرت في الفقه الإسلامي للقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي مايأتي:

١. الإنكار القلبي: وهو أن ينكر المؤمن بقلبه العمل غير المناسب إذا صدر من أحد الأفراد، وبالتالي فإن ذلك الانكار سيظهر على ملامح وجهه، وهو أضعف الايمان.
٢. الإنكار باللسان: فإذا شاهد المؤمن عملاً غير مقبول من أحد الأفراد فعليه أن يردعه بالكلام. وعليه أن يبدأ معه بكلام لين و استدلالي، وأن ينصحه سرّاً فإن لم يؤثر فيه صدع بذلك وجهر به.
٣. الإجراءات العملية: وهي أن يمنعه عملياً من المنكر بواسطة منعه من فعل ذلك المنكر.
٤. الإقدام على الضرب أو القتل (الحرب): وهذه آخر مرحلة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بحيث إذا لم تؤثر المراحل السابقة فيجب تنفيذ هذه المرحلة. ولكن علينا أن نعلم أنّ هذه المرحلة هي من صلاحيات الإمام عليه السلام وولّي أمر المسلمين، فعلى من يريد أن يقوم بهذه المرحلة ان يستأذن الحاكم الشرعي[17].

ولقد كانت نهضة الإمام الحسين عليه السلام على هذا الأساس، فلقد عرض الإمام الحسين عليه السلام برنامجاً سياسياً و عملياً لمواجهة الطاغوت في إطار النهي عن المنكر، فقام أولاً بنصيحة الولاة ثم انتقل إلى المواجهة المسلّحة، وكل ذلك إنما كان في إطار النهي عن المنكر.

السادس: حماية السنّة النبوية

لقد دعا الإمام الحسين عليه السلام الناس في وصيته وكلماته الأخرى نحو السنّة النبوية، وعَدَّ ذلك من أهداف نهضته المباركة: «إنى لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً و لا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في امة جدي، اريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب»[18]. وقال أيضاً: «أنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه، فإن السنّة قد أُميتت، وإنّ البدعة قد أُحييت»[19].

إن السنة النبوية – إلى جانب القرآن الكريم– هادية ومرشدة للناس، وكما انّ كليات وعمومات الدين تُؤخذ من القرآن فإن جزئياته تُؤخذ من السنّة، إذ أنّ أقوال و أعمال النبي صلى الله عليه وآله هي تفسير للقرآن ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[20].

و على جميع المسلمين اتباع سنّة النبي صلى الله عليه وآله و دعوة الآخرين لذلك وأن يدافعوا عن السنة؛ لأنه دفاع عن الدين، و عدم العمل به ترك لقسم من الدين، وأساساً

فإنه لا يجوز للمسلمين مخالفة أوامر النبيﷺ.

قال تعالى: ﴿أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ﴾[٢١]، ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[٢٢]، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾[٢٣].

نعم، كان الإمام الحسينعليه السلام في نهضته بصدد إحياء سنّة النبيﷺ والدفاع عنها وتفعيلها في حياة المسلمين، و ذلك لأن أوامر النبيﷺ كانت قد تُركت و أُحييت البدع.

السابع: الهجرة

عندما صمم و آلي المدينة – طبقاً لأمر يزيد– على قتل الإمام الحسينعليه السلام، خرج الإمامعليه السلام من المدينة ليلاً، و لمّا خطّطوا لقتل الإمامعليه السلام في مكة فإنه خرج منها نحو العراق[٢٤]، و قال في جواب رجل سأله عن سبب خروجه من المدينة: «انّ بني أمية أخذوا مالي، فصبرت، و شتموا عرضي فصبرت، و طلبوا دمي فهربت»[٢٥].

ويستفاد من هذا الكلام أنه إذا تعرضت نفس المؤمن للخطر فلا يجوز له الصبر على ذلك، واقل ما يفعله هو الهجرة. ولقد كانت هذه الخطوة من الإمام الحسينعليه السلام على أساس الآيات الكريمة، إذ نصّت بعض الآيات على أنه إذا واجه الانسان مشاكل في وطنه و لم يتمكن من أداء وظائفه الدينية، أو كما واجه النبيﷺ خطر الموت في مكة فيجب عليه ان يهاجر. يقول القرآن في هذا المجال: ﴿قَالُوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيرًا﴾[٢٦] و قال أيضاً: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[٢٧]، و قال: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٨٢]. وقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[٢٩].

الثامن: مواجهة الظلم

ذكر الإمام الحسينعليه السلام في رسالته إلى كبار أهل الكوفة وكذلك في خطبته لأصحابه وجيش الحر حديثاً عن النبيﷺ واستدل به ثم طبّقه على بني امية: «من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان، ثم لم يغيّر بقول ولافعل، كان حقيقاً على الله أن يدخله مدخله»[٣٠].

إنّ هذا الكلام النبوي الذى جعله الإمام الحسينعليه السلام أساساً لنهضته مأخوذ من القرآن الكريم، إذ ذمّ الظلم في آيات كثيرة، و بيّن أنّ سبب عذاب بعض الأقوام هو ظلمهم[٣١]، كما أنّ الإعتماد و الركون إلى الظالمين يؤدي إلى العذاب و العقاب: ﴿وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ﴾، ثم أذن الله تعالى للمظلوم أن يجاهد فقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[٣٢].

نعم، لقد تعرّض دين الله، و الإمام الحسين عليه السلام والأمة الإسلامية لظلم يزيد وبني أمية. وقد وضّح الإمام الحسين عليه السلام ذلك بقوله: «ويزيد رجل فاسق، معلن الفسق، يشرب الخمر، ويلعب بالكلاب والفهود، ويبغض بقية آل الرسول»[٣٣]، «قاتل النفس المحترمة»[٣٤]، «ومثلي لا يبايع مثله»[٣٥]، «يا فرزدق انّ هؤلاء القوم لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد في الأرض، وأبطلوا الحدود، وشربوا الخمور، و استأثروا في أموال الفقراء والمساكين»[٣٦]، «وأحلّوا حرام الله وحرموا حلاله، واستأثروا بالفيء»[٣٧]، وفي مثل هذه الظروف تكون الوظيفة القرآنية على كل مسلم أن ينهض ويحارب الظلم، وقد فعل الحسين عليه السلام ذلك.

التاسع: التحرر و التحرير

إن الحرية من أكثر الكلمات محبوبية في تاريخ البشر، إلّا أنّ هذه الكلمة لها معانٍ مختلفة، ومن جملتها: الاستقلال (الحرية الفلسفية)، الاختيار، الحرية في مجال التربية، الحرية القانونية (في مجال فلسفة الحقوق)، الحرية في مقابل العبودية والرق (في الحقوق المدنية والدولية)، والحرية بمعنى النزاهة الأخلاقية.

إن بحث الحرية في نهضة عاشوراء إنما هو بمعنى النزاهة الأخلاقية والتي تشمل «التحرر» (بمعنى عدم الخضوع للذل)، و كذلك «كرامة النفس والإعتزاز» (الشهامة). كما أنها تشمل التحرر وتحرير الناس. وفيما يأتي نذكر بعض النماذج:

أ. روي عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال لأعدائه: «ان لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دياكم هذه، وأرجعوا إلى أحسابكم ان كنتم عرباً كما تزعمون»[٣٨]. و هذا يعني ان التديّن والخوف من المعاد يؤديان إلى حصول التقوى ولا يسمحان للانسان أن يظلم الآخرين، وكذلك فإنّ هناك طريقاً فطرياً آخر يمنع الانسان من الظلم أيضاً وهو الحرية، فكل إنسان خلق حرّاً والجميع يحبون الحرية والتحرر واحترام حقوق الآخرين.

ب. رفع البيعة عن الأنصار (اعطاء الحرية للانصار في التصميم على الحرب):

انّ إجبار الآخرين ضدّ إرادتهم امر غيرمقبول في مدرسة احرار العالم، و هكذا كان الإمام الحسين عليه السلام يتعامل مع انصاره. ففي الطريق من مكة إلى الكوفة أذن عليه السلام لأنصاره ومرافقيه مراراً وجعلهم في حِلٍّ من بيعتهم معه، بل إنه أخبرهم انّ من يبقى معه سوف يُستشهد[٣٩].

نعم، فالإمام عليه السلام يريد ممن يبقى معه أن يكون واعياً للأمور ومقبلاً على ذلك برضاه وبحكم الشعور بأداء الواجب.

ج. لقد قام الإمام بنهضته ليحرر الناس من أسر وظلم بني أُمية، لئلا يُصابوا بالإنحراف الفكري و الأخلاقي.

إنّ هذا المنهج في التحرر و تحرير الناس هو نوعٌ من اتّباع القرآن والنبي صلى الله عليه وآله، و ذلك لأنّ تحرير الناس من أهداف رسالة النبي صلى الله عليه وآله إذ عدّ القرآن رسالة النبي صلى الله عليه وآله رفعاً للأغلال وتحرير الناس من عقائدهم

الباطلة ومن الظلم: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٤٠]. كما عَدّ رسالة موسى عليه السلام عندما واجه فرعون هي تحرير الناس من العبودية وخلاصهم منها[٤١].

العاشر: عدم الخضوع للذل

من التعاليم السياسية لثورة الإمام الحسين عليه السلام عدم الخضوع للذل، وهذا من الشعارات المهمة لعاشوراء، إذ كان مثلاً وانموذجاً للشيعة على طول التاريخ. نعم، فإنّ أتباع الحسين عليه السلام يرجّحون الموت بعزّ على الحياة بذل «موت في عزّ خير من الحياة في ذل»[٤٢].

كما يُعدّون السعادة في الشهادة، والخسارة في الحياة مع الظالمين[٤٣]. نعم، فإن شعار أتباع الإمام الحسين عليه السلام انهم لا يقبلون الذل «هيهات منا الذلة»[٤٤].

إن معيار السعادة في مدرسة الحسين عليه السلام ليس هو المال أو الحياة والموت بل هو العزة، وهذه هي النظرة التي قدّمها الإمام الحسين عليه السلام للبشرية، فهو عليه السلام قد غيّر نظرة الناس الاحرار إلى الموت، فالموت أمر حتمي للجميع ولكن المهم نظرة كل شخص إلى الموت، و قد عرض الإمام عليه السلام تعريفاً جديداً للموت و الحياة، إذ وضّح للناس ان الموت في الحياة مع الظالمين، والحياة في الشهادة.

وعندما رأى الإمام الحسين عليه السلام أن نصائحه لا تؤثّر في ولاة بني امية، وانّ يزيد فاسق فاجر لا يمكن ان يبايعه الإمام عليه السلام، ولا فائدة في ذهابه إلى اي مكان آخر لأنهم يتبعونه في مكة و كربلاء وفي كل مكان يذهب إليه فإما أن يقتلونه أو يأخذون البيعة منه ليزيد فإنه وقف بوجه الاعداء و قرر أن يقاتلهم إلى آخر نفس و هو يقول: «لا و الله لا أعطيكم [ب] يدي إعطاء الذليل ولا أفرّ فرار العبيد»[٤٥].

إن هذا النهج الحسيني في العزة وعدم قبول الذل ينطلق من القرآن ويتلاءم مع أسس القرآن، إذ وضّح أنّ الله ورسوله والمؤمنين لهم العزّة وهم بعيدون عن الذل: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٦٤].

الحادي عشر: أختيار إحدى الحسنيين

أذا بقي الإمام الحسين عليه السلام في مكة أو المدينة فإنه سيُقتل، ولكنه إذا خرج نحو العراق فإنّ في إنتظاره أحدى الحسنيين، ولذلك قال: «انّ بيني و بين القوم موعداً أكره أن أخلفهم، فإن يدفع الله عنّا فقديماً ما أنعم علينا وكفى وأن يكن ما لابد منه ففوز وشهادة أن شاءالله»[٧٤].

وحاصل الأمر إن الناس إذا دافعوا عن الإمام عليه السلام وأسقطوا حكم يزيد فإن هذا النصر لصالح الاسلام وهو نعمة من الله تعالى، وإن لم ينصروا الإمام عليه السلام فإنه يُستشهد و يفتضح أمر يزيد ويبقى الاسلام حياً بدم الإمام عليه السلام. و عليه فإنّ خروجه من مكة والمدينة

أفضل من البيعة أو الاغتيال على كل حال. وهذا يعني أن شهادة الإمام عليه السلام وهو مظلوم في صحراء كربلاء أمام ذلك الجيش العظيم سيؤدي إلى حصول إعلام عظيم لصالح الإسلام ويؤدي إلى فضح بني امية وبقاء الإسلام حيّاً على مدى التاريخ.

وهذا النهج المنطقي والعقلائي للامام الحسين عليه السلام مطابق لآيات القرآن، و ذلك لأن القرآن الكريم قد ردّ اولئك الذين تكلموا واعترضوا في اثناء الحرب مع النبي صلى الله عليه وآله قائلاً: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾[٤٨]. أي أن طريقنا هو الحق و عاقبته هي الحسنى في كلا الحالين، سواء فزنا بالشهادة والجنة أم إنتصرنا في هذه الدنيا.

ولكن مصير أعدائنا في جميع الحالات الهلاك والخسران، فهم إما ينهزمون في الدنيا ويصيبهم الذل، أو يُقتلون وينتهون إلى جهنم. إذن فالعقل والمنطق يحكمان بأن علينا الاستمرارفي طريقنا، وقد فعل هذا الإمام الحسين عليه السلام.

الثاني عشر: وجوب إستجابة الإمام لإتمام الحجة على الناس

لقد بعث أهل الكوفة مراراً برسائلهم و رسلهم إلى الإمام عليه السلام بأننا ليس لنا إمام و نريد مبايعتك، فأرسل إليهم الإمام عليه السلام مسلم بن عقيل ليستعلم أمرهم و يرسل إليه بالأخبار، فعندما بايع أهل الكوفة مسلماً تمت الحجة على الإمام و صار لزاماً عليه أن يذهب إلى العراق، و لهذا قال: «هذه كتب أهل الكوفه و رسلهم وقد وجب علي إجابتهم وقام لهم العذر علي عند الله سبحانه»[٤٩].

فمن جانب وضّح الإمام الحسين عليه السلام في كلماته خصائص الإمام العادل الحق قائلاً: «العامل بالكتاب والآخذ بالقسط والدائن بالحق والحابس نفسه على ذات الله»[٥٠].

ومن جانب آخر وضّح في كلماته سبب مجيئه إلى كربلاء، إذ أنّ الناس كتبوا إليه بأنّه ليس لنا إمام وأنّه عليه السلام قد إستجاب لطلبهم[٥١].

وقد وضّح القرآن مراراً أمر الحجة والدليل في هذا الصدد[٥٢] حتى أنه بيّن أنّ إرسال الأنبياء هو لإتمام الحجة: ﴿وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[٥٣] نعم، فإذا تمت الحجة فانه يجب العمل طبقاً لها، وقد استجاب الإمام عليه السلام لدعوة أهل الكوفة طبقاً لذلك فبدأ نهضته المباركة.

النتيجة و الخاتمة

لقد كان أهل البيت عليهم السلام – و لا سيما الإمام الحسين عليه السلام – قريناً و عدلاً للقرآن، و هما لا يفترقان أبداً كما في حديث الثقلين. وعليه فان الحديث عن القرآن و الإمام الحسين عليه السلام هو الحديث عن الكتاب اللفظي والكتاب العملي لله تعالى، فالقرآن هو التجلي اللفظي لكلام الله تعالى، والإمام الحسين عليه السلام هو القرآن العملي والمجسّم. ولقد كانت نهضة الإمام الحسين– أساساً – نهضة قرآنية لأجل تطبيق تعاليم القرآن في المجتمع الإسلامي. والإمام الحسين عليه السلام أحيا تعاليم القرآن وضمن ذلك للأجيال اللاحقة لتستفيد من هذا النور الإلهي.

الهوامش

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزى: ٢١٧-٢١٨، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام، بيروت، ١٤٠١هـ.

(٢) سورة التوبة/ الآية ٤٠.

(٣) تفسير أبي الفتوح الرازى ج ٦/ ص ٣٨.

(٤) تذكرة الخواص: ٢١٧.

(٥) سورة الأنفال/ الآية ٧٢.

(٦) البقرة/ ١٩٣.

(٧) تذكرة الخواص، ص٢١٧، و وردت هذه المضامين أيضاً فى رسالة الإمام الحسين عليه السلام إلى أشراف الكوفة: الفتوح ٥: ٩١، مقتل الحسين للخوارزمى١: ٢٣٤، مكتبة المفيد، قم.

(٨) تذكرة الخواص: ٢١٧.

(٩) الفتوح ٥/ ١٧: مقتل الحسين للخوارزمى ١/ ١٨٤.

(١٠) سورة الأنفال/ ٧٤.

(١١) التوبة/ ٧٣.

(١٢) المناقب لابن شهر آشوب ٤: ٨٩؛ الفتوح ٥: ٢٣؛ بحارالنوار ٤٤: ٣٢٩.

(١٣) سورة هود/ ٨٨.

(١٤) المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى: ٣٧٦، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، ١٤٣٠هـ؛ التحقيق فى كلمات القرآن الكريم للمصطفوى، مادة «صلح»، طهران، بنگاه ترجمه و نشر كتاب، ١٣٩٠هـ.ش.

(١٥) المناقب لابن شهر آشوب ٤: ٨٩؛ الفتوح ٥: ٢٣؛ البحار، ج ٤٤ ص ٣٢٩.

(١٦) آل‌عمران/ ١٠٤.

(١٧) راجع: تحرير الوسيلة للإمام الخمينى، وكذلك الرسائل العملية للمراجع، باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

(١٨) المناقب لابن شهر آشوب ٤: ٨٩؛ الفتوح ٥: ٢٣؛ البحار ج ٤٤ ص ٣٢٩.

(١٩) تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٢٨٠؛ مثير الاحزان: ٢٧.

(٢٠) النحل/ ٤٤.

(٢١) الأنفال/ ٢٠.

(٢٢) التغابن/ ١٢.

(٢٣) الأحزاب/ ٣٦.

(٢٤) انظر: تاريخ الطبرى ٣: ٢٩٤؛ الكامل فى التاريخ ٢: ٥٤٦.

(٢٥) الفتوح ٥: ٧٩؛ مقتل الحسين للخوارزمى ١: ٢٢٦؛ بحار الأنوار ٤٤: ٣٦٨.

(٢٦) النساء/ ٩٧.

(٢٧) الحج/ ٥٨.

(٢٨) النساء/ ١٠٠.

(٢٩) التوبة/ ٢٠.

(٣٠) الفتوح ٥: ٩١؛ مقتل الحسين للخوارزمى ١: ٢٣٤؛ بحار الأنوار ٤٤: ٣٨١.

(٣١) الانعام/ ٤٥، هود/ ٤٧.

(٣٢) الحج/ ٣٩.

(٣٣) الفتوح ٥: ١١؛ مقتل الحسين للخوارزمى ١: ١٨٢.

(٣٤) الفتوح ٥: ١٤؛ مقتل الحسين للخوارزمى ١: ١٨٤؛ بحار الأنوار ٤٤: ٣٢٥.

(٣٥) بحارالانوار ج ٤٤، ص ٢٨٣.

(٣٦) تذكرة الخواص ١: ٢١٧.

(٣٧) تاريخ الطبرى ٣: ٣٠٦؛ الكامل فى التاريخ ٢: ٥٥٢؛ مقتل الحسين للخوارزمى ١: ٢٣٤؛ البحار ٤٤: ٣٨١.

(٣٨)مقتل الحسين للخوارزمى ٢: ٣٣؛ اللهوف: ١١٩؛ البداية و النهاية ٨: ٢٠٣.

(٣٩)تاريخ الطبرى ٣: ٣٠٣؛ الإرشاد: ٢٢٣؛ البداية والنهاية ٨: ١٨٢.

(٤٠)الأعراف/ ١٥٧.

(٤١)طه: ٧٤ و ١٠؛ الشعراء: ١٧ و ٢٢.

(٤٢)بحارالأنوار ج ٤٤، ص ١٩٢.

(٤٣)بحارالأنوار ج ٤٤، ص ١٩٢.

(٤٤)مثير الأحزان: ٥٥.

(٤٥)بحارالأنوار ج ٤٤، ص ١٩١.

(٤٦)المنافقون/ ٨.

(٤٧)مثير الاحزان: ٣٩.

(٤٨)التوبة/ ٥١- ٥٢.

(٤٩)معالى السبطين ١/ ٢٤٦- ناسخ التواريخ ٢/ ١٢٢.

(٥٠)الطبرى ٧/ ٢٣٥، الكامل لابن الأثير ٣/ ٢٦٧، مقتل الخوارزمى ٦/ ١٩٥.

(٥١)الفتوح ٥: ٣٣؛ مثير الأحزان: ٢٦.

(٥٢)البقرة/ ١٥٠ و الأنعام/ ١٤٩ و ٨٣ و الشورى/ ١٥.

(٥٣)النساء/ ١٦٥.

المصادر

القرآن الكريم

١. ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، طهران، اساطير، ١٣٧١ هـ. ش.

٢. ابن الأعثم الكوفى، محمد بن على الفتوح، ميرزا ملك الكتاب، بمبئى، ١٣٠٥ هـ. ق.

٣. ابن الجوزى، سبط، تذكرة الخواص، موسسة أهل البيت عليهم السلام، بيروت، ١٤٠١هـ.

٤. أبوالفتوح الرازى، حسين بن على، روض الجنان فى تفسير القرآن، مشهد، استان «قدس» ١٤٠٨ هـ. ق.

٥. التسترى، نورالله، احقاق الحق، بدون تاريخ ومكان الطبع.

٦. الحائرى، محمد مهدى، معالى السبطين في أحوال الحسن والحسين، قم، ١٣٨٣ هـ. ش.

٧. ٧- الخمينى، السيد روح‌الله، تحرير الوسيلة، قم، مؤسسة مطبوعات دارالعلم، الطبعه الثانية.

٨. الخوارزمى، ابومؤيد، مقتل الحسين، أنوار الهدى، ١٣٨١هـ. ش.

٩. الراغب الاصفهانى، ابوالقاسم حسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٣٠ هـ.

١٠. رضائى اصفهانى، محمد علي، القرآن والإمام الحسين، الإمام الحسين والقرآن، قم. دار «پژوهش‌هاى تفسير وعلوم قرآن»، ١٣٩٣ هـ.ش.

١١. سپهر، محمد تقى بن محمد علي، ناسخ التواريخ - الإمام الحسين عليه السلام، قم، نشر ناصر، ١٣٨٣ هـ.ش.

١٢. الطبرى، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق نخبة من العلماء الإجلاء، بيروت، مؤسسة الأعلمي.

١٣. الطوسى، أبوجعفر محمد بن الحسن، الأمالي، قم، دارالثقافة، ١٤١٤ هـ. ق.

١٤. المجلسى، محمد باقر، بحارالأنوار، طهران، المكتبة الإسلامية، ١٣٥٨ هـ. ق.

١٥. المصطفوى، حسن؛ التحقيق في كلمات القرآن الكريم، طهران، بنگاه ترجمه ونشر كتاب، ١٣٩٠هـ. ش.